العرب
الإثنين 2020/06/01
السنة 43 العدد 11718

لا أحد يشكّ بأنّ الفضائيين يمكن أن يزورونا

«قريب» فيلم يمزج خارقية الشخصية بعجزها عن مواجهة الغرباء

هل نتيح لخيالنا أن يحلّق بعيدا باتجاه أن هنالك فضائيين يترصّدوننا ويتحيّنون الفرصة للنزول بأطباقهم الطائرة فيختطفون من يشاؤون؟ هذه القصة تكرّرت كثيرا بل إن هناك من يؤكد أنها موجودة بالفعل، وأن هناك أشخاصا قد تم اختطافهم فيحصل إما تغييبهم وإما إعادتهم.

طاهر علوان
كاتب عراقي
مقيم في لندن

في مواجهة المجهول

لندن – في مسار قصة اختطاف الفضائيين للأرضيين يقدّم المخرج إيريك ديموسي في فيلم "قريب"، عملا سينمائيا يبدو للوهلة الأولى مرتبكا، ابتداء من العناوين المكتوبة بحروف ضخمة تملأ الشاشة والموسيقى التصويرية الصاخبة وغير المنتقاة بعناية، لكننا سوف نتغاضى عن تلك الهنات مع تتابع أحداث الفيلم.

القصة التي تكرّرت معالجتها في العديد من أفلام الخيال العلمي والمرتبطة باختطاف البشر من قبل الفضائيين والأطباق الطائرة يعرضها المخرج وهو نفسه كاتب السيناريو، ويبدأ من الذروة؛ من وقائع اختطاف تقع في زمن سابق أثناء عمل قاطعي الأشجار في الغابات، حيث سيكون هناك من تم اختطافه أو من شهد العملية بالفعل.

ثم لا نلبث أن ننتقل إلى الزمن الحاضر لنربط قصة الاختطاف الفضائي بشخصية الشاب إسحاق (رايان ماسون) وهو باحث في وكالة ناسا في مجال تقنية الكمبيوتر والبرمجيات، يتمتع أيضا بقدرات خاصة خارقة كتحريك الأشياء عن بعد أو السيطرة عليها.

ويتحوّل إسحاق إلى محور أساسي في الفيلم، إذ يتم اختطافه من قبل الفضائيين، فضلا عن مراهقة مرتبكة يعيشها سابقا؛ وها هو يحاول التخلّص من وضع نفسي اكتئابي عندما يتجه لحمل الكاميرا ليوثّق يومياته. لكنه لم يتوقّع أنه سوف يشاهد طبقا طائرا وكائنا فضائيا، فيقوم بتصوير كل ذلك.

لن يصدّق أحد رواية إسحاق ولا ما صوّره حتى أنه يظهر في برامج تلفزيونية فتتمّ السخرية منه، والتشكيك في ما وثّقه بالقول إن ما يعرضه هو مقطع فيديو مفبرك يمكن تركيبه في كمبيوتر بسيط.

وتعجّ مواقع التواصل الاجتماعي بالتعليقات التي تسخر من رواية إسحاق حتى يلتقي بكاتب وروائي يعلن أنه يؤمن بما قاله ويصدّقه، وأنه سوف يقوم بحملة في هذا الاتجاه، ومنذ لقائه بالكاتب تبدأ رحلة المعاناة بالنسبة لإسحاق، إذ يلاحقه الفضائيون وآخرون يعملون في مشروع سري.

والحاصل أن المخرج يصنع جوا كاملا من المغامرات والانتقالات المكانية وصولا إلى الانتقال إلى كندا في إطار الهروب من تعقّب شبكة متطوّرة من المكلفين بالقبض على من يدلون بمعلومات تتعلّق بالاختطاف.

يصنع المخرج نسيجا صوريا وتحوّلات وأحداثا تم بناؤها بشكل موضوعي ومتماسك، وكان اختياره للممثل رايان ماسون لأداء شخصية إسحاق في مكانه، حيث يتكامل أداؤه بعد تعرّفه على سارة (الممثلة هيغدي كوان) واختيارها أيضا لأداء هذا الدور كان موفقا تماما.

هيغدي كوان (سارة) ورايان ماسون (إسحاق) يؤدّي كلاهما أحد أجمل الأدوار في حياتهما، إذ يعبّران عن هلع حقيقي بسبب ملاحقة الفضائيين وأصحاب المشروع السري لهما، ولهذا سوف يرحلان باتجاه كندا وفي وسط الغابات يلتقون مع كارل (الممثل دان سكريبنر) الذي أصبح اختصاصه توثيق الأصوات القادمة من الفضاء الخارجي، وصولا إلى دخول فضائيين حقيقيين إلى منزله وحوار الجميع معهم.

حملات التكذيب التي تعرّض لها إسحاق تكون قد أفقدته الثقة بالمؤسسات والشخصيات الرسمية، إذ إنهم يرفضون الإصغاء إليه والكشف عن معاناته، ثم يظهرون الوجه الأقبح بالسعي لاغتياله لكونه قد نال مرتبة مهمة نتيجة اطلاعه على أسرار تتعلّق بمشروع استخباري – فضائي على درجة عالية من السرية.

ومن جانب آخر، تؤكّد الشخصيات، وخاصة إسحاق وسارة أنهما قد اختفيا لبضعة أيام، ولكن إحساسهما بالزمن يكون قد توقّف، وتلك إشكالية أخرى، بينما يكونان قد غابا عدة أيام.

لا شك في أن مسألة الإحساس بالزمن كانت ولا تزال هي إحدى القضايا الإشكالية المربكة، ولهذا تبدو مسألة انتقال إسحاق وسارة إلى كندا امتدادا للمشكلة، أضف إليها ظهور زميلين آخرين إلى جانبهما بما يقوّي موقفهما وهم ينتظرون العد التنازلي لقدوم ضباط ومسؤولي ذلك المشروع الفضائي.

وتبرز هنا مسألة الإقناع التي يوفّرها فيلم الخيال العلمي، فالكثير من هذه الأفلام يبدو مفبركا ومن الصعب تقبّل الشخصيات والأحداث وحتى الصورة على أنها ضرب من الخيال العلمي، أما في هذا الفيلم فقد توفّر هذا العنصر وبشكل مميز.

ومن ذلك الأجواء العامة لجهة استخدام التقنيات الرقمية والخرائط الفلكية والإحداثيات وعمليات التعقّب، وكذلك مظهر الحراس الرقميين وصولا إلى الجلوس مع الفضائيين على طاولة واحدة وهم يردّدون أصواتا تتمّ ترجمتها، وحتى شكل الفضائيَيْن الاثنين بدا مقنعا، بل غدا ظهورهما مميزا وفيه مسحة من الابتكار.

تميز فيلم "قريب" بالتنوّع على جميع المستويات ومنه التنوّع في الأماكن واستخدام عنصر الحركة والمطاردات والمشاهد الخيالية، كمثل الطبق الطائر الضخم الذي ظل يحوم في السماء ويظهر بين حين وآخر، ثم التنوّع في العلاقة بين الشخصيات وتطوّر العلاقة بين سارة وإسحاق وتحوّلها بالتدريج إلى علاقة حب، وقد أحسن المخرج في اختيار الممثلين الشابين.

ثم كان التنوّع في السرد الفيلمي من وجهات نظر متعددة، فالمخرج انتقل بنا إلى ذلك المجتمع السرّي الذي يقود مشروع الفضائيين أو يساعد فيه، وبدا أولئك الحرّاس الأشداء هم الآخرون كما لو كانوا كائنات روبوتية.

الفيلم يقدّم قصّة حب بين شاب وفتاة تعرّضا لخطف من الفضائيين وسط تنوّع ملفت للأماكن والأحداث

الأوبئة في عيون الفنانين عبر العصور

من يان بروغل القديم إلى نان غولدن، مرورا ببوسّان ورسامي الباروك الإشبيليين، لم يتردّد الفنانون في رسم ما رأوه رأي العين من أوبئة مختلفة، من الطاعون إلى كورونا، مرورا بالإنفلوانزا الإسبانية والإيدز.

أبو بكر العيادي
كاتب تونسي

باريس – عرف الإنسان الأوبئة منذ العصر البرونزي، وقد ورد ذكرها في بعض الكتب المقدسة وإلياذة هوميروس وتاريخ توسيديديس وفي بعض المخطوطات الرومانية. كما تركت فنون النحت والخزف والفسيفساء في العصور القديمة صورا عن أجساد محطمة، شوهت الأمراض ملامحها، وحفرت فيها آثارا مروّعة.

ولكن أكثر الصور روعا هي تلك التي تعود إلى العصر الوسيط، وكانت شاهدة على الطاعون الأسود الذي ضرب أوروبا في أواسط القرن الرابع عشر. فبعد تقلبات مناخية نجمت عنها مجاعات زادتها حرب المئة عام حدّة، ظهر هذا الوباء في آسيا الوسطى ثم انتقل إلى أوروبا وحصد الأرواح بمئات الآلاف. وكان من بين الضحايا جيل من الرسامين المجدّدين، مثل أمبروجو لورنزيتي وأخيه بييترو.

أما الناجون فقد خالطتهم أنفاس الموت، وولّدت فيهم تشاؤما لازبا، فكانت الثيمات تحوم حول الموت، مثل "حديث الموتى الثلاثة والأحياء الثلاثة"، و"عذراء الرحمة". فبينما كان الموت يحصد الأرواح، والكنيسة تستغل ذلك لإحكام قبضتها على المؤمنين، كان الفنانون يكشفون عن الدمار الذي ألحقته الأوبئة الكبرى بالأجساد والأذهان، يتجلّى ذلك في لوحة "قبلة الموت" لهانس بالدونغ، و"انتصار الموت" ليان بروغل القديم. وهي أعمال ذات واقعية فجّة في عمومها ترسم المرضى والمحتضرين في أبشع صورة.

ورغم ظهور قصص "ديكاميرون" لبوكاتشو تغنّت بانتصار الحب، فإن المجتمعات الغربية ظلت مهووسة بالحداد وبنهاية العالم، وكان لذلك أثره على الفنانين أيضا، فقد صار الموت الفظيع من ثيماتهم المفضلة، نلمس ذلك في جداريات ماتياس غرونفالد التي أنجزها لكنيسة إيسنهايم.

مثلما نلمسه في فن ما بعد النهضة، حيث تناول الفنانون تلك الثيمة في أعمال ذات خلفية تاريخية أو دينية تسرد مآسيَ صحية، كما في لوحة نيكولا بوسّان "طاعون أشدود" الذي يصوّر الطاعون الذي أصاب الفيليستان (الشعب الذي كان يعيش في فلسطين التاريخية)، أو في لوحة جاك لوي دفيد الذي صوّر القديس روش يطلب من العذراء أن تشفع لضحايا الوباء الذي ضرب مرسيليا في مطلع القرن الثامن عشر.

أما إسبانيا الباروكية في عصرها الذهبي فكانت تميل إلى الاستعارات الأخلاقية، وتحضّ على التوبة والتكفير عن الخطايا، أثناء الوباء الإشبيلي في أربعينات القرن السابع عشر، حيث عرض خوان دي فالديس ليال في لوحة "نهاية المجد الأرضي" جثتين متحللتين لأسقف وفارس، بينما حذّر بدرو دي كمبروبين العامة، وتوجيه اهتمامها نحو علاج المصابين ووضع سياسة وقائية.

وقد ساهمت أعمال سير ذاتية أحيانا وشهادات واقعية في توعية المجتمع وحثّ الحكومات على اتخاذ ما يلزم من إجراءات وقائية ضد جائحة نهاية القرن، نذكر من بينها "أنشودة الإدمان الجنسي 1982–1995" للأميركية نان غولدين، وهي صور فوتوغرافية تسرد فيها تجربتها الذاتية المطبوعة بعشق الحياة بغير ضابط، وتدهورَ صحتها نتيجة هذا الفايروس.

ومن بين المناضلين في هذا الباب، نذكر أيضا النحاتة الأميركية زوي ليونارد، وكانت أدانت الميز الذي مارسته سلطات بلادها ضد السود والفقراء في مجال الوقاية والعلاج. وما زال نصها "أريد رئيسا" الذي كتبته عام 1992 ماثلا في حيّ تشيلسي بنيويورك.

كذلك الفرنسي فابريس هيدر الذي رسم في مطلع الألفية جدارية "بلا حرج" في معهد باستور للحثّ على ضرورة تشجيع البحوث الطبية لمقاومة الفايروسات. وأنجز في حديقة لافيلات بباريس بساطا من مربعات خزفية أهداها إلى أرواح ضحايا الإيدز.

والكاميروني بارتيليمي طوغو الذي أنجز مزهريات ضخمة تزيّنها رسوم تحيّي أرواح ضحايا وباء إيبولا، وكان عرضها في مركز بومبيدو بالعاصمة الفرنسية، وقد استوحى مزهرياته من الخلايا المصابة، وأرادها دعوة إلى مشاركة الأفارقة آلامهم ومساعدتهم على تخطي تلك الأزمة الصحية.

وما من شكّ أن الأيام القادمة، سوف تفرز أعمالا عن كورونا، هذا الوباء الذي فاق كل الأوبئة حتى الآن.

بَسّانو في لوحة "الفارس والموت" من الأمراض التناسلية.

وتواصلت الأليغوريا طوال القرن التاسع عشر، خصوصا لدى الرمزيين، حيث طرح أرنولد بوكلين رؤيته الخاصة للطاعون، فرسمه ممتطيا صهوة تنّين ينشر الرعب والدمار في المشهد القروسطي، بينما تمثّله إدوارد مونك في "بورتريه ذاتي زمن الإنفلوانزا الإسبانية"، تلك التي ظهرت في الولايات المتحدة وانتشرت في أوروبا لتحصد أرواحا أنهكتها الحرب العالمية الأولى، مخلّفة نحو خمسين مليون قتيل، من بينهم غيّوم أبولّينير وإيغون شيله.

> فنون النحت والخزف والفسيفساء في العصور القديمة تركت صورا عن أجساد محطمة شوهت الأمراض ملامحها

وبعدها بعقود من السنين، ظهر فايروس خطير نشر الرعب عبر العالم، هو الإيدز. وقد كان له وقع شديد في نفوس عدد من رموز الفن المعاصر، وهو ما تناولته الناقدة إليزابيت ليبوفيسي في كتاب "ما فعله بي الإيدز – الفن والفعالية في نهاية القرن العشرين" (والفعالية هنا هي مذهب خلقي يُعنى بمتطلبات الحياة الفعلية ومنجزاتها أكثر من عنايته بالمبادئ النظرية)، وبيّنت فيه كيف تجنّد الفنانون عن طريق أعمالهم لحشد قوى المجتمع لأجل الضغط على السلطات

خيال فجّ

أن تتأثر بنزاهة

فاروق يوسف
كاتب عراقي

بعض الفنانين الكبار ينبغي عدم التأثّر بهم. جياكومتي، هنري مور، بيكاسو، فرانسيس بيكون على سبيل المثال لا الحصر. هؤلاء كل واحد منهم هو أشبه بشبكة عنكبوت لا يمكن الخروج منها بيسر.

في البدء يشعر المرء بمتعة أن يتعلّم منهم بعدها تحلّ الرغبة في اكتشاف الأسرار التقنية التي تنطوي عليها تجاربهم، ومن ثم تطبق المتاهة بدروبها المتشعّبة على الخطوات الحائرة. لا إياب ولا ذهاب. دوران في المكان نفسه وما من معنى للحركة.

يغرق البعض نفسه في وهم أنه قد حقّق ما كان يصبو إليه. إنه يرسم الآن مثل معلّمه. ما معنى هذا؟ لا شيء إذا ما عرفنا أن المرء قد فقد شخصيته وذاب كليا في هواء مثاله، وهو المعلم الذي صار ينتج بعد وفاته أعمالا فنية تتشبّه بأعماله ولكنها في الحقيقة مزورة. ذلك لأنها من صنع آخرين قادهم التأثّر الأعمى إلى أن يضيعوا في متاهته.

وعلى الجانب الآخر تكمن الفضيحة. هناك سلسلة هائلة من النحاتين عبر العالم تأثّروا بأعمال جياكومتي النحتية لم ينج منهم إلا عدد قليل أما البقية فقد كانوا مجرّد مقلدين لا أحد يلتفت إلى منحوتاتهم. فهي أضعف من أن تُنسب إلى معلمّهم وهي أقل قيمة من أن يتم الالتفات إليها.

ولكن هل المطلوب أن يتحاشى الفنانون النظر إلى أعمال الكبار من أجل عدم التأثّر بها؟ كان هنري ماتيس لا يُخفي تأثره بمن سبقه من الرسامين، وكان يشبّه نفسه بالأسد الذي يلتهم الخراف فلا يتحوّل إلى خروف. التأثر أمر لا بدّ منه. والفنان الحقيقي هو من يتأثر بسبب حساسيته المفرطة ورغبته في التعلّم واكتشاف أسرار الجمال.

ولكن ما يهب التأثر قيمته ويجعله فعلا إيجابيا يكمن في محاولة اكتشاف مواقع القوّة في تجارب المعلّمين الكبار واستخراج المواد الخام منها واستعمالها بطريقة جديدة.

ذلك ما يعطي التأثّر معنى الاستمرار في الخلق الفني. وهي مُعادلة تمنع بما تتميّز به من نزاهة الوقوع في التقليد الأسلوبي الذي لن يكون إلاّ نوعا من التزوير.